«مش مقهور إنو انصبت بالمعركة، مقهور إنو بنت اللي صابتني»

«أمم»: فيلمان عن الحرب الأهلية بمذكّر مقاتليها ومؤنثّهم

وقف الشاب العشريني عندما انتهى عرض الفيلمين وسأل المقاتلات والمقاتلين السابقين في الحرب الأهلية اللبنانية: «هل أنتم نادمون؟».

تولت الإجابة كوليت طنوس، المقاتلة السابقة في حزب «الكتائب اللبنانية»، ولاحقاً في «القوات اللبنانية». وهي واحدة من أربع مقاتلات سابقات قدمن شهاداتهن عن تلك الفترة في فيلم من إخراج سحر عساف تحت عنوان «لكي تكون فقط ذكرى.. نساء مقاتلات». عرضت الفيلم، ومدته عشرون دقيقة، جمعية «أمم للتوثيق والأبحاث» ضمن نشاطها: «الحرب بالمذكر.. الحرب بالمؤنث..»، أمس الأول، في «هنغارها» في حارة حريك.

قالت طنوس: «أنتم تحكمون علي. أنا سمعت الاعتذار الفلسطيني من اللبنانيين وقبلت به. لقد شعرت بأني معنية بالحرب على غزة. الحرب عبثية وتتحول الى حروب. يجب أن نرى كل أسبابها ونعالجها. لا أستطيع ان اقول اني نادمة لا سيما أني كنت معتدى عليها».

أما رينا حنا («الكتائب» ولاحقاً «القوات اللبنانية» أيضاً) فكانت أكثر وضوحاً مع نفسها ومع الحاضرين، أجابت: «إذا تكررت الحرب أتخذ الموقف ذاته. أنا لم اقف الا في وجه الغريب الذي هجم علي». الاجابة كانت كافية لاستفزاز بعض حضور العرض الذين توقعوا جواباً مغايراً على الأرجح.

لكن طنوس أوضحت أنه يجب استعراض جميع الاسباب التي ا

أوصلت الى الحرب. وقالت: «اذا كنتم تريدون فعلاً لبنان بلداً ووطناً لجميع طوائفه، فيجب أن نقوم بجردة حساب كاملة. لا أحمل حقدي وأسير به. لا تأخذوا الحرب من نتائجها فقط. فلتناقش كلها. اذا تذكرناها لنتهم بعضنا البعض، فسنبني المتاريس من جديد».

المقاتلتان الأخريان في الفيلم هما: فاديا بزي من «الحزب الشيوعي اللبناني»، وميسلون فرحات من «الحزب السوري القومي الاجتماعي».

تتحدث السيدات الأربع في الفيلم (فيديو، كما أسمته عساف، وجاء ضمن دراسة ماستر تنفيذي أعدته في «التنشيط النفس ـ اجتماعي في المجتمعات التي مزقتها الحروب») والذي لا يزيد عن كونه وجهات نظرهن، عن حياتهن السابقة كمقاتلات.

وقد هدفت عساف من خلال اختيار مقاتلات مختلفات كبطلات إلى الربط بين المواضيع التي لها علاقة بكونهن نساء، كالتأثير النفسي للتجربة التي مررن بها.

التعاطي مع المرأة يظل متشابهاً، ولو اختلفت الأماكن بحسب ما تبين الشهادات في الفيلم. فكوليت كانت أكثر لطفاً بكثير مع الشخص الذي أرسلت للتحقيق معه، إذ اكتفت بطرح الأسئلة عليه.. على عكس رفيقها الذي استغرب طريقة التحقيق هذه وطلب منها التنحي جانباً وركل «الموقوف» على وجهه حتى سال الدم من فمه.

والمرأة أيضاً هي فاديا التي هرع رفاقها الشبان للاطمئنان عليها عندما أصيبوا جميعاً بقذيفة «أر. بي. جيه» خلال احدى المعارك. فالمقاتل عندما يواجه مقاتلة لا يرى فيها سوى المرأة. تروي فاديا عن احد المقاتلين من الفريق الآخر أنه كان يقول «أنا مش مقهور إنو انصبت بالمعركة. أنا مقهور إنو بنت اللي صابتني». هكذا، لم ير المقاتل في المقاتلة الندّ الا «البنت».

الوثائقي الثاني، «من الحرب الى المصالحة»، لا تزيد مدته عن أربع عشرة دقيقة، وهو من توقيع جمعية «أديان»، بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط. فيه، شهادتان لكل من أسعد الشفتري، المسؤول السابق في «القوات اللبنانية»، ومحيي الدين شهاب، المسؤول السابق في «المرابطون».

ويقدم الوثائقي شهادتي المسؤولين السابقين اللذين يجتمعان اليوم معاً في حلقات حوارية مع الشبان من خلال جمعية «التسلح الخلقي في لبنان»، حيث يعرضان تجربتهما الانسانية في اكتشاف «الآخر» المختلف والتعاطي معه، كما يعرضان بعض تفاصيل حياتهما «العسكرية» السابقة.

يتحدثان، فلا يُستنتج من حديثيهما المبسطين إلا أن المشكلة وقعت بين مسيحي متعصب ومسلم على شاكلته، علماً بأن تعقيدات الحرب اللبنانية وأبعادها وأسبابها كانت أوسع من هذه المساحة بكثير.

يقول الشفتري في الوثائقي عن فكرته النمطية السابقة: «كنت متعصباً للمسيحية وللبنان بالتعريف المسيحي له. كانت عندي نفسية التكبر على المسلم على اعتبار أني أحسن منه وأفهم منه، وصولاً الى تخوينه، هو والفلسطيني».

ويقول شهاب عن المسيحيين: «كلهم متعصبون ضد المسلمين وأحفاد الصليبيين وعملاء لإسرائيل». لم يأت الرجلان على ذكر السياسات التي كانت تتصادم وقتها، بل اكتفيا باسقاط مشكلة الطائفية على أسباب دخولهما الحرب. حتى في المراجعة الشخصية، اعتبر شهاب أن «الانسان عندما يؤمن بالله، لا يضيع الطريق. المصالحة الحقيقية هي باختصار أن تتصالح مع نفسك وإيمانك». وهي الفكرة نفسها التي تبناها الشفتري عندما ذكر «أهمية النضوج بواسطة الإيمان الحقيقي والعلاقة الحقيقية مع الرب». وقد أكد أن هدفيه المشتركين مع شهاب حالياً هما التكفير عن الماضي، وتحذير الجيل الجديد من الدخول في الدوامة نفسها التي دخلاها.

وقد حضر العرض الشفتري، وطنوس، وحنا، وبزي، وشاركوا في النقاش. وغاب عنه فرحات وشهاب.

يوسف حاج علي

تروي الشيوعية حربها على شاشة العرض في هنغار «أمم»

(علي لمع)